

## الطاخونة

### ١ - ادم ، و الصنابير :

فتحت الصنبور ، فسالت دماء . لم اصدق اول الامر . لكن منذ تحققت من ذلك لم ينقطع اندفاع هذا السائل الاحمر اللزج الحار من صنابير بيتي . لا شك ان الامر عام ، بل لا بد ان يكون كذلك ، لان الدماء عندنا سلعة رخيصة ، تباع وتشتري . اردت ان اسال الجيران . غير انني خفت ، ربما عرفت حالتني فتلحق بي تهمة الحق ، لجمت لساني طويلا ، والدماء لا تنقطع ، تعودت على طعمها شرابا وطعاما . اصبح من اللازم ان اهييم في شوارع المدينة انلصص الاخبار . واحدق بشراهة وحذر في وجوه الناس ، صرت اعشقها ، حتى خيل لي انهم مثلي تقريبا . هم يبحثون بصمت ، واصرار ، عن اشياء ضيقتوها ، وانا لم اضع بعد ، لكنني ابحت في اصرار ..

تجرات مرة ، سألت صديقا يشبهني في كل شيء ، فلمعت عيناه :  
- عجبا .. وقع لي نفس الشيء .. لكنني اصبت بالخرس .  
وسألنا معا صديقا اخر ، برقت عيناه ايضا وكان مثلنا -  
يسكنه الخوف . قلت للاول متهكما ..  
- هناك زواج من نوع ما يبين الخوف والصمت !

تفرقنا ، صار عملنا - بكل احتراس - ان نسال . وان تحسق عيوننا في اوجه الناس . يا من شربتم الدماء ، اكلتم الدماء ! لكنكم اجبتي ، تغلفون عقلكم .. وتحرمون نفسكم حلاوة السؤال ، .. فهل تجربون مرة - ولو وجيدة - حلاوة السؤال ؟ دعوا قلوبكم تخف من مرارة الفزع . دعوا عقولكم ترتاح من قيود خوفها السميك ، فليس في السؤال اثم ! الاثم في قبولكم سكينه مزيفة ، الاثم في الحقيقة المزيفة ..

تساءلوا ، من اين تاتي الدماء ؟

### ٢ - الشوارع والليل

من يكون هذا القادم من بعيد ؟ شبح يلتصق بجلود الشجر ؟ ولعلها اشباح كثيرة ؟ الاضواء في هذا الشارع قائمة تجاهد الظلمة . من يكون هذا الشبح الزاحف في هدوء ، كأنه ينتظر فريسة معلومة ؟ ان كان لصا يهون الامر ، فاللص لا يقتسل ولا يضر الا الجهلة او المتعرجين ، او من يستحقون القتل .

بني وبينه مسافة ، تمتلئ بالظلام والسكوت والخوف ، هذه الكائنات لا تفرق ، تنضح الشبح كأنما هو يربط نفسه بتلك الكائنات ، تمنيت ان يكسونا لصا والا يكون احدا اخر ، فهو افضل لي على اية حال ، من السائل الذي يمد يده ، استنتجت فكرة ما بسرعة ثم ابتسمت منها ! « اذا رايت بلدا يكثر فيه القتله واللصوص ،

والسجناء ، فهو بلد لا بد ان اهله رجال شجمان ، فقراء ، لكنهم جهال ينقصهم الوعي » آه ، لا اقدر على الانسلاخ عن طبيعتي حتى ساعة الخوف ! اذا كان لصا يهون الامر . كل ما اتمناه الا يكون احدا اخر ، لست اتمنى ذلك لاخفف من نفسي ، بل لخوفي من رجل مظلوم يتعقبنني منذ سألت « من اين تاتي الدماء ؟ »

لا يتركني ليلا ولا نهارا .

- فف هناك ، هجم عليّ من وراء شجرة ، كان صحبته رجلا من جنسه .

- اخيرا ، وجدني هذا المترصد الذي كنت اخاف ان اجده !

### ٣ - اغنية متنوعة

يا من هو باز ، في لفزاز  
يا من هو فزوج ع القنطرا ونشر جناحو .  
يا من هو تلتيس ، اعطا ظهرو للنفراز  
يا من هو ديب ، في لفياب اكثر صياحو .  
عمرني ماريت لفرال تهشي بالمهامز  
وفرسان الخيل عادوا سراحو  
عمرني ماريت النخلا تعطي حب الفزاز  
بعد الثمر ، وتبلاحو ..  
اليام ، آليام ! يا بنيتي مالكي عوجا ؟  
واش من اسباب عرجتي لي بيه .. ؟  
تارة تسقيني حليب ، تارة تسقيني حنجا  
كيهولي هبه ..  
اصدق حتى اعيا ، وقالوا راهافيه تبقى فيه ..  
فين غادي بياخويا ، وفين غادي بيا ؟

### ٤ - من هسبا جئت

اخذوني ، فتشوا بيتي ، احسست بلدة وهم يفتحون الصنبور ، ويفسلون اياديهم بدمانه ، ثم ضحكوا . فتشوا من جديد . ربما عن شيء تخيلوا وجوده ، حتى ملوا . فاخذوا مكانه كتبا ، واوراقا خاصة ، وصورا لاشخاص . سألت :

- لماذا تاخذون كتبي ؟

- لا بد ، لنثبت انك تسال ، وتعلم الناس كيف يسألون . كنت غيبا حين اعتقدت ان كل ما اخاف عليه ، هو دماء الصنابير ، اذ كيف للدماء ان تجري بدون سبب ! وهم في الواقع يظنون انني اعرف هذا السبب . سالوني :

- لماذا فتحت الصنبور ؟

- عطشان . ام تراه ينتظر مني ان انتحر عطشا ؟

## تنهض الارض ..

وكيف ابتدا شجر يمخر الموج ..  
 هذا اللهاث يشوهنا ..  
 انه ..  
 سمه الخوف ..  
 او سمه الانتقاد ..  
 سيخسر واحدنا دمعه ..  
 فليكن  
 يخسر القيد ..  
 تاريخه الاعجمي ..  
 وايلأ طويلا ..  
 فماذا تبقى سوى ان نراهن بالموت مستقبلا ..  
 او نبادل جرحا  
 بسنبلة الفقراء  
 وماذا تبقى لنا ؟ ..  
 تنهض الارض من موتها نحونا  
 يوسع الماء للأوفياء  
 ومن لا يعود :  
 سنكمل خطوته ..  
 ولعينييه نكتب شعرا جديرا به ..  
 تهرب الارض ..  
 او تنهض الارض ..  
 انا تقدس موت الرجال الفريد .

حلب

تهرب الارض من موتها في العيون الضئيلة ..  
 انا تقدس موت الرجال الفريد  
 ونكتب شعرا لمن لا يعود ..  
 نفني قصائدنا حين يهجر طير العواصف او كاره ..  
 قالت الساعة الجامدة :  
 تموت الغصون الهجينة  
 تفتح النار ابواب بعث جديد  
 الا انها لحظة تمسق الارض طعم الدماء بها  
 يوسع الماء للأوفياء الطريق  
 ومن لا يعود :  
 سنكمل خطوته ..  
 وسنكتب شعرا جديرا به ..  
 هذه الارض تنفحننا حزنها ..  
 تستقبل الشفاه .  
 وابتديء التيه فينا خطاه  
 يملئنا الخوف كيف يجيء الوفاء الفريد  
 فنكتب شعرا جديرا بمن لا يعود الينا  
 تقول لنا اللحظة العادية :  
 اما .. اما ..  
 تكون الخطى زمنا فيه ميعاد شمس الوصول  
 تكون الدقائق ساحلنا  
 اننا نفصل الاعين المتخيمات انتظارا ..  
 بليل قتيل  
 راينا المناديل كيف انطوت في الرمال ..

### ٥ - الطاحونة

كانت تدور، تدور بسرعة خارقة ، حتى اني لم اسمع ادنى صخب .  
 لم يكن معي الا بعض الذين تساءلوا مثلي ، فهنا لا يوجد سواهم ،  
 ربطني بهم السؤال من قبل ، والان نلتقي في جوف الطاحونة التي توحد  
 بين دماننا فتجطننا واحدا .  
 كنا نضحك جميعا .. ونحن نتحرك بسهولة ويسر ، يساعد بعضنا  
 بعضا على الحركة . استمر الحال كذلك حتى بمسد اختلاطنا . شبيه  
 واحد يستحق الذكر : لقد اصبحنا بلا عظم ، كان العظم يمسوق  
 الحركة . وبيطنا ، فلما فصل عنا لم يبق الا الدماء .  
 سيمود كل منا دما يسيل في صنوبر بيته وبيوت الناس .  
 وسيحيا السؤال . « من أين تأتي الدماء ؟ » لكننا هذه المرة ، ونحن  
 في جوف الطاحونة ، تمكنا من معرفة الجواب .. فليس الا من  
 هنا تبجع الدماء .

البيضاء - المغرب

- قلت لك لا تسأل . اجب فوراً .  
 - ان من حقني ان افتحه . ادفع الثمن .  
 - دع الحق للمحكمة . اريد جوابا اخر .  
 لكني سكتت . ثم تكلمت .  
 - انتم مجانين .  
 راسي يدور . لم تمد اذناي تقويان على السمع . ولا عقلي على  
 الفهم . احسنت رجلي تتحركان .  
 عند القاضي ، سألني .  
 - لماذا فتحت الصنوبر ؟  
 - لانني لا اريد ان اموت !  
 - ولماذا لا تنحرف ؟  
 اجبته هازلا :  
 - بل هانذا انتحرف ، لكن بشكل لا يروقكم .  
 وهكذا نطق القاضي ، فساقوني منجورا الى :